بسم الله الرحمن الرحيم

الرسالة

تأليف

محمد بن سعيد الأندلسي

عفا اللّه عنه

تمهيد

الحمد لله الهادي إلى سواء السبيل، الذي بين لنا الأصول وقررها وفصل الحجج وبينها بأوضح دليل، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا الهالك العليل، وعلى آله وصحبه الذين مضوا على سنته واستقاموا على هديه واستضاءوا بنور التنزيل.

أما بعد فهذه رسالة مختصرة جامعة لمهمات الأصول المقررة حاوية للدرر المنتثرة، حررتها بأيسر عبارة وضمنتها أوضح الإشارة لتكون لمن حفظها الحجة والمنارة، ألفتها على صيغة السؤال والجواب، اقتداءً بالنبي المصطفى الأواب، لتكون أوقع في النفس وأوفق لنيل الحق وتحرير الصواب، وأرجوا من الله في ذلك وافر الأجر وجزيل الثواب.

❁ فإن قيل لك: ما هي حقيقة الإسلام الذي تنكبت عنه جملة البرية في هذا الزمان؟

فقل: الإسلام: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والاتباع والبراءة من الشرك والأقوام المشركة، وهذا الحد يقوم على ثلاثة أركان من لم يأت بها جميعاً لا يسمى مسلماً، وعموم الناس في هذا الزمان فاقدون لهذه الأصول لتلبسهم بشرك العبادة والطاعة وشرك الحاكمية والاتباع، مفارقين لدين الإسلام بدخولهم في دينٍ وضعي جديد وخضوعهم لنظام علماني قائم على الشرك والتنديد.

❁ فإن قيل: لك كيف يحقق المرء الاستسلام لله بتوحيده؟

فقل: إنَّ الإسلامَ يقومُ على قاعدة الاستسلام لله بالعبودية والطاعة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾[البقرة٢٠٨]، قال ابنِ عباس:« **السِّلْمُ: الطَّاعَةُ** »، وَرُوِيَ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، نَحْوُ ذَلِكَ"[١]، وقال البغوي: "**وَالْإِسْلَامُ: هُوَ الدُّخُولُ فِي السِّلْمِ، وَهُوَ الِانْقِيَادُ وَالطَّاعَةُ**، يُقَالُ: أَسْلَمَ، أَيْ: دَخَلَ فِي

[١] أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير برقم ١٩٤٦

السِّلْمِ، وَاسْتَسْلَمَ"[١]، وقال الطبري:" والذي أراد ابن عباس ــ إن شاء الله ــ بقوله في تأويل قوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ **وحِّدوه، أي أفردُوا الطاعة والعبادة** لربكم دون سائر خلقه"[٢].

وظاهر القرآن في مواضع عدة جاء بالتنصيص على إفراد الله بالعبودية والطاعة في سياق دعوة الرسل أقوامهم إلى الإسلام كقوله تعالى:﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ ﴾،وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[الزخرف٦٣] قال البغوي :" فَاتَّقُوا اللَّهَ، **بِطَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ**، وَأَطِيعُونِ، فِيمَا آمُرُكُمْ بِهِ مِنَ الإيمان والتوحيد"[٣]، فدعوة الرسل أقوامهم إلى الإسلام تشمل إفراد الله بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات والطاعة والحاكمية والاتباع وهو معنى الاستسلام لله بتوحيده، لأن العبودية لله هي الخضوع والذل والاتباع والانقياد، ولتفسير النبي ﷺ للعبودية بالطاعة والاتباع في التحليل والتحريم كما في حديث عدي بن حاتم، خلافاً لمن يقصر العبودية على التوجه لله بالدعاء والشعائر والنسك.

❁ فإن قيل لك: لو أن رجلا عبد اللّه فصلى وصام وحج بيت اللّه الحرام، وآمن باللّه وسائر أركان الإيمان ولم يكفر بالطاغوت هل يكون مسلما؟

فقل: إن التوحيد لا يقوم إلا على ركنيه النفي والإثبات، والنفي يقوم على البراءة من الشرك وأهله، والإثبات يقوم على إفراد الله بالعبودية والطاعة، دل عليه مجمل الآيات المفسرة للتوحيد، كقوله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل ٣٦]، فقوله:﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي: أفردوا الله بخصائصه في الربوبية ومنه الحكم والتشريع والألوهية وأسمائه الحسنى وصفاته العُلى، وقوله: ﴿ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ أي: جانبوه بالبراءة من الآلهة الباطلة وعابديها وذلك ببُغضهم وعَداوتهم

[١] تفسير البغوي ١/٤٢١

[٢] تفسير الطبري ١/٣٦٣

[٣] تفسير البغوي ٣/٤٧٣

وتكفيرهم، ومتى كان الخلل في النفي أو الإثبات أي الإفراد أو البراءة كان الخلل في التوحيد.

ومن الآيات المفسرة للتوحيد قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة ٢٥٦] والكفر بالطاغوت شرط في صحة الإسلام، ومن لم يكفر بالطاغوت لم يستمسك بالعروة الوثقى وهو متردد مع الهالكين، فلابد أن تعرف الطاغوت لتجتنبه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾[الزمر ١٧]. وتعرف عُبَّاد الطاغوت لتحقق البراءة منهم، قال تعالى:﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾[الممتحنة ٤].

ولابد للعبد أن يحقق البراءة من الشرك والمشركين حتى يكون مسلماً، وليس الشرك محصورا فيما كان يصرفه الوثنيون للأصنام من دعاء واستغاثة وذبح ونذر وغيرها مما يصرفه اليوم المشركون المنتسبون للقبور والمشاهد والمزارات، بل منها شرك الطاعة وشرك الحاكمية كما يفعله الناس اليوم من تحاكم للمحاكم الوضعية واتباع للقوانين والتشريعات التي يأمر بها الطواغيت ويسنها الأرباب الأرضية.

❁ فإن قيل: لك ما هو الطاغوت الذي لا يصح إسلام المرء إلا بالكفر به والبراءة من عابديه؟

فقل: قد جاء تفسير الطاغوت عند السلف بذكر بعض أفراده ومما ورد في ذلك:

❁ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: « الطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ »، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي وَمُجَاهِدٍ وَالْحَسَنِ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَالضَّحَّاكِ وَعِكْرِمَةَ وَعَطَاءٍ وَالسُّدِّيِّ، نَحْوُ ذَلِكَ."[١]، قال ابن كثير:" وَمَعْنَى قَوْلِهِ فِي الطَّاغُوتِ: إِنَّهُ الشَّيْطَانُ قَوِيٌّ جِدًّا فَإِنَّهُ يَشْمَلُ كُلَّ شَرٍّ كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، **مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالتَّحَاكُمِ إِلَيْهَا وَالِاسْتِنْصَارِ بِهَا**."[٢]

---

[١] رواه ابن ابي حلتم برقم ٢٦١٨

[٢] تفسير ابن كثير ٦٨٣/١

۞ وعَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ، قَوْلُـهُ: ﴿ بِٱلطَّٰغُوت﴾قَـالَ: « الطَّـاغُوتُ الَّـذِي يَكُـونُ بَـيْنَ يَـدَيِ الأَصْـنَامِ، يَعْبُرُونَ عَنْهَا الْكَذِبَ، ليضلوا الناس »"[١]، أي السدنة.

۞ وقــال الشَّـعْبِيُّ: « الطــاغوت: الســاحر »"[٢]، ومثلــه عَــن أبــي الْعَالِيَــة قَــالَ: « الطــاغوت السَّاحر »"[٣].

۞ وعن سعيد بن جبير قال: « الطاغوت: الكاهن »"[٤]

۞ وقَــالَ جَــابِرٌ: « كَانَـتِ **الطَّوَاغِيـتُ الَّتِي يَتَحَـاكَمُونَ إِلَيْهَـا**، فِي جُهَيْنَـةَ وَاحِـدٌ، وَفِي أَسْـلَمَ وَاحِدٌ، وَفِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ، كُهَّانٌ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ »[٥].

۞ **وفســره مالــك بتفســير عــام لجميــع أفــراده**، فعــن ابْــنِ وَهْــبٍ، قَــالَ: وَقَــالَ لِـي مَالِـكٌ: الطَّــاغُوتُ: مَــا يَعْبُــدُونَ مِــنْ دُونِ اللَّــهِ"[٦]، وزاد عليــه بعــض المتــأخرين الرضــا أي: وهــو راض، ليخــرج مــن عُبِــد مــن دون اللــه وهــو غيــر راض كعيســى بــن مــريم وعزيــر والملائكــة وغيرهم، وكــذا قــال أبــو جعفــر: "والصــواب مــن القــول عنــدي في "الطــاغوت"، أنــه كــل ذي طغيــان على اللــه، فعبــد مــن دونــه، إمــا بقهــر منــه لمــن عبــده، **وإمــا بطاعــة ممــن عبــده لــه، و إنسانا كان ذلك المعبود، أو شيطانا، أو وثنا، أو صنما، أو كائنا ما كان من شيء**"[٧].

فالطــاغوت هــو كــل معبــود أو مطــاع أو متبــوع مــن دون اللــه فهــو ": كُـلُّ مَـا تَجَــاوَزَ بِــهِ الْعَبْـدُ حَـدَّهُ مِـنْ مَعْبُـودٍ أَوْ مَتْبُـوعٍ أَوْ مُطَـاعٍ، فَطَـاغُوتُ كُلِّ قَـوْمٍ مَـنْ يَتَحَـاكَمُونَ إِلَيْـهِ غَيْرَ اللَّـهِ وَرَسُـولِهِ، أَوْ يَعْبُدُونَـهُ مِـنْ دُونِ اللَّـهِ، أَوْ يَتْبَعُونَـهُ عَلَى غَيْرِ بَصِـيرَةٍ مِـن اللَّـهِ، أَوْ يُطِيعُونَـهُ فِيمَـا لَا يَعْلَمُـونَ أَنَّـهُ طَاعَـةٌ لِلَّـهِ، فَهَـذِهِ طَوَاغِيـتُ الْعَـالَمِ إِذَا تَأَمَّلْتَهَـا وَتَأَمَّلْـتَ أَحْـوَالَ النَّـاسِ مَعَهَـا رَأَيْـت أَكْثَـرَهُمْ عَـدَلُوا مِـنْ عِبَـادَةِ اللَّـهِ إِلَى عِبَـادَةِ الطَّـاغُوتِ، وَعَـنْ التَّحَـاكُمِ إِلَى اللَّـهِ وَإِلَى

[١] رواه ابن ابي حاتم برقم ٢٦١٩
[٢] رواه ابن أبي حاتم برقم ٢٦٢٠
[٣] رواه الطبري برقم ٥٨٠١
[٤] رواه الطبري برقم ٥٨٤٣
[٥] رواه البخاري ٤٥/٦
[٦] رواه ابن ابي حاتم برقم ٢٦٢١
[٧] تفسير الطبري ٤١٩/٥

الرَّسُـولِ إلَـى التَّحَـاكُمِ إلَـى الطَّـاغُوتِ، وَعَـنْ طَاعَتِـهِ وَمُتَابَعَـةِ رَسُـولِهِ إلَـى طَاعَـةِ الطَّـاغُوتِ وَمُتَابَعَتِهِ"[1].

❁ فإن قيل لك: كيف تكون طاعة الطواغيت عبادة لهم من دون اللّه؟

فقـل: إنَّ الانقيـاد للـه عـز وجـل يكـون بقَبُـولِ شَـرعِهِ وطاعـة أمـره والعمـل بدينـه، وهـذا ينقضـه الانقيـاد للطواغيـت وامتثـال أمـرهم وطـاعتهم في شـرائعهم الجاهليـة المناقضـة لشـريعة اللـه تعـالى، والطاعـة حـقٌ خـالصٌ للـه ﷻ، فمـن صـرفها للطواغيـت المشـرعين مـن دون اللـه فأطـاعهم في تحليـل الحـرام وتحـريم الحـلال وإسـقاط الواجبـات فقـد أشـرك باللـه تعـالى في الطاعـة وعبـد الطواغيـت الحـاكمين بغير شـرع اللـه، قـال تعـالى:﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر ٣] ، قـال أبـو جعفـر: يقـول تعـالى ذكـره: "ألا للـه **العبـادة والطاعـة** وحـده لا شـريك لـه، خالصـة لا شـرك لأحـد معـه فيهـا، فـلا ينبغي ذلـك لأحـد، لأن كـل مـا دونـه ملكـه، وعلـى المملـوك طاعـة مالكـه لا مـن لا يملـك منـه شـيئا"[2]، وقـال تعـالى:﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف ٥٥] .قَـالَ أَبُـو هُرَيْـرَةَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ: «الْخَلْـقُ خَلْـقُ اللَّـهِ وَالأَمْـرُ أَمْرُهُ»[3].

❁ فإن قيل لك: إذا ماهي العبادة التي لا ينبغي صرفها إلا للّه؟

فقل: **العبادة:** "**هي** الخضوعُ لله بالطاعة، والتذلل له بالاستكانة"[4]

ويدل على ذلك ما يلي:

❁ قـال تعـالى: ﴿ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[يس ٦١]، قـال الطبـري:" يقـول: وألـم أعهـد إلـيكم أن اعبـدوني دون كـلّ مـا سـواي مـن الآلهـة والأنـداد، وإيـاي فـأطيعوا، **فـإن إخـلاص عبـادتي، و إفـراد طـاعتي، ومعصـية الشـيطان، هـو الـدين الصـحيح**، والطريـق المستقيم."[5]

وقال البغوي: ﴿ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي ﴾،أَطِيعُونِي وَوَحِّدُونِي، هَذَا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ."[6].

---

[1] اعلام الموقعين ١/٤٠

[2] تفسير الطبري ٢١/٢٥٠

[3] رواه ابن أبي حاتم برقم ٨٥٨٥

[4] ذكره الطبري في تفسيره ١/٣٦٣

[5] تفسير الطبري ٢٠/٥٤٢

[6] تفسير البغوي ٤/١٨

❁ وقال تعالى: ﴿فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ وَٱعۡبُدُواْ ۩﴾[النجم٦٢]، قال السمعاني:" حمل بَعضهم هَذَا على الصَّلَوَات الْخمس. وَقيل: إن الْآيَة نزلت بِمَكَّة قبل فرض الصَّلَوَات الْخمس، وَالسورَة مَكِّيَّة، فعلى هَذَا مَعْنَاهُ: فاسجدوا لله واعبدوا أَي: **اخضعوا لله ووحدوا. وَيُقَال: المُرَاد مِنْهُ أصل السُّجُود، وَالْمرَاد من الْعِبَادَة هِيَ الطَّاعَة**"[١]

❁ وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾[الذاريات٥٨]، قال ابن عباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما المعنى: ما خلقت الجن والإنس **إلا لأمرهم بعبادتي، وليقروا لي بالعبودية** فعبر عن ذلك بقوله: ﴿لِيَعۡبُدُونِ﴾إذ العبادة هي مضمن الأمر"[٢].

❁ فإن قيل لك: ما هو حدّ شرك الطاعة؟

فقل: إنَّ الانقياد لله عز وجل بالطاعة ينافيه الانقياد للطواغيت المشرعين: بتحليل الحرام أو تحريم الحلال أو إسقاط الواجبات مما هو من حكم الشركاء المبدلين، وطاعتهم في ذلك بامتثال أوامرهم اختياراً هو الشرك بالله تعالى في الطاعة ويدل عليه آيات كثيرة منها:

❁ **قوله تعالى**: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام ١٣١]، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلَهُ: وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ قَالَ: الْفِسْقُ الْمَعْصِيَةُ"[٣]، وعَنه: ﴿وإن أطعتموهم في أكل ما نهيتكم عنه، إنكم إذًا لمشركون﴾" [٤]، وَقَالَ السُّدِّي فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: إِنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِلْمُؤْمِنِينَ: كَيْفَ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ تَتَّبِعُونَ مَرْضَاةَ اللَّهِ، وَمَا ذَبَحَ اللَّهُ فَلَا تَأْكُلُونَهُ، وَمَا ذَبَحْتُمْ أَنْتُمْ أَكَلْتُمُوهُ؟ فَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ﴾ **فَأَكَلْتُمُ الْمَيْتَةَ** ﴿إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾، وَهَكَذَا قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾، "أَيْ: حَيْثُ عَدَلْتُمْ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ لَكُمْ وَشَرْعِهِ إِلَى قَوْلِ غَيْرِهِ، فَقَدَّمْتُمْ عَلَيْهِ غَيْرَهُ فَهَذَا هُوَ الشِّرْكُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ

[١] تفسير السمعاني ٣٠٥/٥
[٢] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١٨٣/٥
[٣] رواه ابن أبي حاتم برقم ٧٨٣٨
[٤] رواه الطبري في تفسيره برقم ١٣٨١٥

وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[التوبة٣١][١].

ووجه الدلالة: أن طاعة المشرعين لأكل الميتة يصير به المسلم مشركاً بطاعتهم في أكلها وامتثال أمرهم، وإن كان أكل الميتة في ذاته معصية، أما طاعة الطواغيت المشرعين في أكلها وامتثال أمرهم ومتابعتهم على التحليل فهو شرك بالله تعالى.

❁ **وقوله تعالى**: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[التوبة٣١]،

عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال:« لم يعبدوهم، ولكنهم أطاعوهم في المعاصي»"[٢].

وعن أبي البختري: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾قال: «انطلقوا إلى حلال الله فجعلوه حرامًا، وانطلقوا إلى حرام الله فجعلوه حلالا فأطاعوهم في ذلك، فجعل الله طاعتهم عبادتهم، ولو قالوا لهم: "اعبدونا"، لم يفعلوا»"[٣]

وعن الحسن: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال: «في الطاعة»"[٤].

وعن السدي: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لم يأمروهم أن يسجُدوا لهم، ولكن أمروهم بمعصية الله، فأطاعوهم، فسمَّاهم الله بذلك أربابًا»"[٥]. وعن الربيع بن أنس، عن أبي العالية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال: «قلت لأبي العالية: كيف كانت **الرُّبوبية** التي كانت في بني إسرائيل؟ قال: "ما أمرونا به ائتمرنا، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم"، وهم

[١] تفسير بن كثير ٣٢٩/٣

[٢] رواه الطبري في تفسيره برقم ١٦٦٤٣

[٣] رواه الطبري برقم ١٦٦٣٨

[٤] رواه الطبري برقم ١٦٦٣٩

[٥] رواه الطبري برقم ١٦٦٤١

يجدون في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه، فاستنصحوا الرجالَ، ونبذُوا كتاب الله وراء ظهورهم»"[١].

ومن السنة: رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ جَرِيرٍ وغيرهم مِنْ طُرُقٍ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَتْهُ دَعْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فرَّ إِلَى الشَّامِ، وَكَانَ قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأُسِرَتْ أُخْتُهُ وَجَمَاعَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، ثُمَّ مَنَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أُخْتِهِ وَأَعْطَاهَا، فَرَجَعَتْ إِلَى أَخِيهَا، ورَغَّبته فِي الْإِسْلَامِ وَفِي الْقُدُومِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدِمَ عَدِيّ الْمَدِينَةَ، وَكَانَ رَئِيسًا فِي قَوْمِهِ طَيِّئٍ، وَأَبُوهُ حَاتِمٌ الطَّائِيُّ الْمَشْهُورُ بِالْكَرَمِ، فتحدَّث النَّاسُ بِقُدُومِهِ، فَدَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي عُنُقِ عَدِيّ صَلِيبٌ مِنْ فِضَّةٍ، فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٣١]، قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوهُمْ. فَقَالَ: « بلَى، إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ، وَأَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ، **فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ**»"[٢].

ولفظ المتابعة يَرِدُ على الموافقة في الظاهر دون الباطن، وليس هو المتابعة على الاعتقاد كما يفسره به الأشاعرة[٣]، بل فهم السلف للمتابعة إنما هو على الموافقة في الظاهر كما قَالَ قَتَادَةُ: أَخَذَ بَنُو الْمُغِيرَةِ عَمَّارًا وَغَطَّوْهُ فِي بِئْرِ مَيْمُونٍ، وَقَالُوا لَهُ: اكْفُرْ بِمُحَمَّدٍ **فَتَابَعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَقَلْبُهُ كَارِهٌ**، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّ عَمَّارًا كَفَرَ فَقَالَ: «كَلَّا إِنَّ عمارا ملىء إِيمَانًا مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ، وَاخْتَلَطَ الْإِيمَانُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ» فَأَتَى عَمَّارٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْكِي، فَقَالَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَا وَرَاءَكَ» ؟ قَالَ: شَرٌّ يا رسول الله إني نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، قَالَ: «كَيْفَ وَجَدْتَ قَلْبَكَ» قَالَ: مُطْمَئِنًّا بِالْإِيمَانِ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ وَقَالَ: إِنْ عَادُوا لَكَ فَعُدْ لَهُمْ بِمَا قُلْتَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ»[٤].

❁ فإن قيل لك: ما هو توحيد الاتباع؟

فقل: هو إفراد الله بالتلقي عنه وحده دونما سواه، فالمسلم هو الذي أسلم وجهه ـ أي كله ـ لله، وهو الذي يتلقى عن ربه في **الأصول الأربعة**:1_ العقائد والأخبار 2_والمناسك

[١] رواه الطبري في تفسيره برقم ١٦٦٤٢

[٢] سنن الترمذي برقم ٣٠٩٥وتفسير الطبري ١٤/ ٢٠٩

[٣] وقولهم أنَّ طاعة المشرعين في المعصية هي معصية هي عقيدة الأشاعرة التي تأثر بها الكثير من المتأخرين، وهي تجري على أصولهم في باب الإيمان، قال ابن العربي الأشعري: "إنما يكون المؤمن بطاعة المشرك مشركاً: **إذا أطاعه في الاعتقاد** فإن أطاعه في الفعل وعقده سليم مستمر على التوحيد والتصديق فهو عاص فافهموه."، فما هو الفرق بينهم وبين الأشاعرة في هذا الباب العظيم الذي هو من لب وأصل مسألة الإيمان؟

[٤] تفسير البغوي ٣/ ٩٨

والشعائر 3_والشرائع و الأحكام 4_ ونظام الملك ومنهج الحياة، فالخالق لهذا الكون المتصرف فيه المدبر لأمره المالك له هو الذي له الخلق والأمر، وهو الذي يُقرر الاعتقاد والتصور للقلب والعبادة والشعائر للجوارح والنظام والمنهج للحياة، والمسلم هو الذي يتلقى عن ربه في الأصول الأربعة سواءً بسواء، وهذا معنى الكلية في التلقي التي لا يصح الإسلام إلا بها، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف١]، أَيْ: لَا تَخْرُجُوا عَمَّا جَاءَكُمْ بِهِ الرَّسُولُ إِلَى غَيْرِهِ، فَتَكُونُوا قَدْ عَدَلْتُمْ عَنْ حُكْمِ اللَّهِ إِلَى حُكْمِ غَيْرِهِ"[1]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الأعراف ١٥٧]، وقوله تعالى:﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣١ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران٣٢]، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: «فَإِنْ تَوَلَّوْا عَلَى كُفْرِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الكافرين»[2]، فالتولي عن الطاعة والاتباع لله ورسوله ﷺ هو الكفر المراد به في الآية.

ومن اتبع منهجاً وشِرعَةً غير ما شَرَعَهُ اللهُ لعباده فقد اتخذ الذي تلقى منه الشِرْعَةَ والمنهجَ رباً من دون الله، و قد اتبع أهواء الطواغيت وأراء الذين لا يعلمون قال تعالى:﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الجاثية ١٨]، وهؤلاء الخارجين من عبودية الله في الحكم والطاعة والاتباع، قد صاروا عبيداً للبشر تحكمهم أهواء البشر وتسوسهم أوضاعهم فهم مشركون بهذا الاتباع، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾[الأنعام:١٢١]، ولا فرق بين من يسجد ويتضرع بالدعاء لقبر، ومن يتبع نظاماً وضعياً في النهي والأمر.

[1] تفسير ابن كثير ٢٩٥/١٢

[2] رواه ابن ابي حاتم في تفسيره برقم ٣٤٠٩

۞ فإن قيل لك: لماذا اشترطتم في صحة الإسلام البراءة من المشركين وتكفيرهم؟

فقل: وذلك للتلازم بين البراءة من الشرك والبراءة من المشركين فلا تصح البراءة من الشرك إلا بالبراءة من المشركين.

فالبراءة من الشرك هي: ترك الشرك واعتقاد عدم أحقية الآلهة الباطلة للعبادة، وينقضها التلبُّس بالشرك.

وأما البراءة من المشركين فهي: مُفارقة المشركين في الدين واعتقاد أنهم على دين باطل، وينقضُها أسلمة المشركين واعتقاد أنهم معذورون بالجهل أو التقليد أو التأويل.

والتلازم بينهما: يقتضي أنه لا يصح ترك الشرك إلا باعتقاد أن أهله على دين باطل وعلى غير ملَّة إبراهيم، ومن سمَّى المشرك مسلماً فقد سمَّى الشرك إسلاماً وهو لا يعرف الكفر من الإسلام، وحكى أبو الحسين الملطي الإجماع على أن الجهل مناط مكفر فقال: "وَمعنى ذَلِك أَن معتزلة بَغْدَاد وَالْبَصْرَة وَجَمِيع أهل الْقبْلَة لَا اخْتِلَاف بَينهم أَن من شكّ فِي كَافِر فَهُوَ كَافِر لِأَن الشَّاك فِي الْكفْر لَا إِيمَان لَهُ **لِأَنَّهُ لَا يعرف كفرا من إِيمَان** فَلَيْسَ بَين الْأمة كلهَا الْمُعْتَزلَة وَمن دونهم خلاف أَن الشَّاك فِي الْكَافِر كَافِر"[١]، لا كما يدعيه الجهمية أن الجهل عذر مُبرِّر بل هو مناطٌ مُكفِّر، قَالَ أَبُو سُلَيْمَان: سألت أبا سَلَمَة بن شبيب عَنْ علم الحلواني، قَالَ: يرمى في الحش. ثم قَالَ أَبُو سَلَمَة: من لم يشهد بكفر الكافر فهو كافر"[٢].

ويدل على أن البراءة من المشركين وتكفيرهم من حقيقة ملة إبراهيم آية الممتحنة التي بيَّنت صريح الملة الحنيفية وفسرت الكلمة الباقية ونصت على الأسوة الحسنة التي أُمرت هذه الأمة باتِّباعها، قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾[الممتحنة ٤]، قال أبو جعفر وقوله: ﴿ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يقول: حين قالوا لقومهم الذين كفروا بالله وعبدوا الطَّاغوت: أيها القوم إنا برآء منكم، ومن الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد، وقوله: ﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا ﴾ يقول جلّ ثناؤه مخبرا عن قيل أنبيائه لقومهم الكفرة: كفرنا بكم، أنكرنا ما كنتم عليه من الكفر

---

[١] التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ١/٤٠

[٢] تاريخ بغداد ٧/٣٧٧

بالله وجدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن تكون حقًّا، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا **على كفركم بالله**، وعبادتكم ما سواه، ولا صلح بيننا ولا هوادة، ﴿ حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾، يقول: حتى تُصدّقوا بالله وحده، فتوحِّدوه، وتفرِّدوه بالعبادة"[١].

ولا يصحُّ إسلام المرء حتى يحقِّق البراءة من الشرك والمشركين بدلالة النُّصوص المفسرة لكلمة التوحيد، وبإجماع جميع أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، كما حكى الإجماع عبد الرحمن بن حسن حيث قال: "أجمع العلماء سلفًا وخلفًا من الصحابة والتابعين والأئمة، وجميع أهل السنة: أن المرء لا يكون مسلمًا إلاَّ بالتجرد من الشرك الأكبر، **والبراءة منه وممن فعله**، وبغضهم ومعاداتهم بحسب الطاقة والقدرة، وإخلاص الأعمال كلها لله"[٢].

❁ فإن قيل لك: لماذا جعلتم البراءة من المشركين هي البراءة من الشعوب في هذا الزمان؟

فقل: البراءة من الأقوام الكافرة هي من حقيقة ملة إبراهيم ودعوة الرسل أجمعين: بدليل الآيات المفسرة لحقيقة دعوة الرسل أقوامهم وما ورد فيها من تكفير وبراءة من تلك الأقوام المكذبة، فلا يكون المرء محققا لملَّة إبراهيم وركنها البراءة من المشركين إذ كان مؤسلماً لقومه عُبَّاد الطواغيت في هذا الزمان، فالبراءة من المشركين في صورة شرك الأقوام وعموم الكفر في الديار يتحقق بالبراءة من القوم وتكفيرهم، ودلت عليه نصاً آية الممتحنة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ **إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ** وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾، والآيات الواردة في بيان ملة إبراهيم وحقيقة ودعوة الرسل والمفسرة للتوحيد كلها خطاب من الرسل لأقومهم المشركين بالبراءة والتكفير كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الزخرف ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

---

[١] تفسير الطبري ٣١٧/٢٣

[٢] الدرر السنية: (١١/ ٥٤٥).

حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[الأنعام:٧٩]، وسياق قصص الأنبياء في سورة الأعراف وهود حيث يتكرر قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ ﴾.

فقضية الدعوة إلى التوحيد والبراءة من المشركين وأقوامهم والصراع بين الحق والباطل والإيمان والكفر إنما هي خصومة بين الأنبياء والأقوام المكذبة والقرى المعاندة، فلا يصح إسلام الفرد من هذه الأقوام المشركة إلا بعد البراءة من قومه وتكفيرهم واعتقاد أنهم ليسوا على شيء وخلع الآلهة والأنداد والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، واتباع الرسول والخضوع والانقياد لأمر الله تعالى، كما روى ابن إسحاق في السيرة قال:" ثم إن أبا بكر لقي رسول الله ﷺ فقال: **أحق ما تقول قريش يا محمد من تركك آلهتنا، وتسفيهك عقولنا وتكفيرك آباءنا؟** فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر إني رسول الله ونبيه، بعثني لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق، فو الله إنه للحق أدعوك، إلى الله يا أبا بكر، وحده لا شريك له، ولا يعبد غيره، والموالاة على طاعته أهل طاعته، وقرأ عليه القرآن، فلم يفر، ولم ينكر، فأسلم وكفر بالأصنام، وخلع الأنداد، وأقر بحق الإسلام، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق"[١].

فمن حقق البراءة من قومه المشركين ومما يعبدون من دون الله وكفَّرهم وعاداهم وأبغضهم، وآمن بالله واستسلم لله بتوحيده، ولم يشرك بالله شيئاً في العبادة والحكم والطاعة والمحبة، واجتنب عبادة الطاغوت، واتَّبع ما أنزل الله وكان عبداً لله في التلقي والطاعة والاتباع لا عبداً للطواغيت أو ولياً للكافرين كان مسلماً، كما قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[الأنعام١٠٦] وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾[البقرة٢٥٧]

فمن آتى بذلك فقد حقق ملة إبراهيم واستمسك بالعروة الوثقى والكلمة الباقية.

❊ فإن قيل لك: ماهي مناطات كفر هذه الشعوب؟

فقل: إنَّ هذه الشعوب والأقوام غارقة في صنوف الكفر والشرك العام والتي منها:

❊ الجهل بلا إله إلا الله والإعراض عن تعلم الإسلام بحده الصحيح، وعدم قيام الدعوة إلى التوحيد الصحيح بين أظهرهم بل قيام الدعوة إلى عبادة الطواغيت على

[١] سيرة بن اسحاق ١٣٩/١

المنابر والمدارس والإعلام والملتقيات: فعموم الشعوب تجهل المعنى الصحيح لـ لا إله إلا الله وتفسرها بـ لا صانع ولا خالق إلا الله على تفسير الأشعرية الجهمية، ويعتقدون أن من نطق بـ لا إله إلا الله فهو مسلم ولا يصح تكفيره بحال من الأحوال ولو فعل ما فعل من صنوف الكفر والشرك إلا إذا جحد الصانع.

ونقول أن مجرد الانتساب إلى الإسلام بالاسم مع البقاء على ملَّة الشرك واستدامته وعدم اجتناب الطَّاغوت وطاعته ولا البراءة من المشركين وتكفيرهم، لا يصير به المرء مسلماً فتكون بذلك دعوى لا تُصحح إسلامهم ولا يترتب عليها أحكامٌ في دين الله عزَّ وجلَّ، وهو انتسابٌ لا اعتبار له في الشرع، وأهله هم من أهل الشرك وملَّة الكفر سواءً بسواء، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾[التوبة١١] عَنِ الرَّبِيعِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ يَقُولُ: «تَوْبَتُهُمْ خَلْعُ الأَوْثَانِ وَعِبَادَتِهَا »، وعَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ قَوْلُهُ: «فَإِنْ تَابُوا مِنَ الشِّرْكِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَمْ تَقْتُلْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ»، وَرُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ: «فَإِنْ تَابُوا مِنَ الشِّرْكِ»[١].

وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[آل عمران٦٧] عن عامر، قال: «قالت اليهود: إبراهيم على ديننا وقالت النصارى: هو على ديننا. فأنزل الله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا ﴾ الآية، فأكذبهم الله، وأدحض حجتهم يعني: اليهودَ الذين ادّعوا أن إبراهيم ماتَ يهوديًّا». وعن الربيع مثله"[٢].

فنسبة اليهود والنصارى وعُبَّاد الأوثان أنفسهم إلى ملَّة إبراهيم لم يصحّح دينهم، ولا اعتبار له في الأسماء ولا في الأحكام، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾[آل عمران٨٣]، قال البغوي:" قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ ﴾، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ اخْتَلَفُوا **فَادَّعَى كُلُّ وَاحِدٍ أَنَّهُ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ** وَاخْتَصَمُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَضَى النَّبِيُّ ﷺ بينهم أن: «كِلَا الْفَرِيقَيْنِ بَرِيءٌ مِنْ دِينِ إبراهيم عليه السلام، وأن دينه

[١] رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٩٢٧٢ و٩٢٧٣

[٢] رواه الطبري برقم ٧٢١١

الإسلام» ، فَغَضِبُوا وَقَالُوا: لَا نَرْضَى بِقَضَائِكَ وَلَا نَأْخُذُ بِدِينِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴾، قرأ أهل الْبَصْرَةِ وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ يَبْغُونَ بِالْيَاءِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّاءِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُم ﴾،﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ ﴾: **خَضَعَ وَانْقَادَ**"[١].

❁**الشعوب لا تكفر طواغيت الحكم والمشرعين لهم من دون الله تعالى ويعتقدون أنهم أولياء أمورهم تجب طاعتهم ومتابعتهم، وهو الدين الذي رسخه فيهم علماء السلاطين عبر سنين إثر سنين:**

ونقول: أنَّ تفسير الطاغوت بمن حكم بغير شرع الله هو منطوق قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ ﴾[النساء:٦٠]، والآية نص قاطعٌ وحجة بيّنة في أن من تحوكم إليه بغير شرع الله يُسمى طاغوتا رغم أنوف الجهمية عُبَّاد الطواغيت، وهو تفسير السلف أهل القرون الثلاثة المفضلة:

❁ قال تعالى:﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾، عن ابن عباس الطاغوت: «كعب بن الأشرف، والجبت: حيي بن أخطب»[٢].

❁ وقَالَ جَابِرٌ: «كَانَتِ **الطَّوَاغِيتُ الَّتِي يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهَا**، فِي جُهَيْنَةَ وَاحِدٌ، وَفِي أَسْلَمَ وَاحِدٌ، وَفِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ، كُهَّانٌ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ»[٣].

❁ وعَنِ السُّدِّيِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ ﴾، «وَهُوَ أَبُو بُردة الأَسْلَمِيّ الْكَاهِنُ»"[٤].

❁ وعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: «تَنَازَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى مُحَمَّدٍ، وَقَالَ الْمُنَافِقُ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ

---

[١] تفسير البغوي ١/٤٦٥

[٢] رواه الطبري برقم ٨٧٨٢

[٣] رواه البخاري ٦/٤٥

[٤] رواه ابن ابي حاتم برقم ٥٥٥١

ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾[النساء:٦٠]، ﴿وَهُوَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ﴾[1]. قال الطبري:" وكان سيّد اليهود"[2].

❁ وعَنْ مجاهد: « الطاغوت: الشيطان فِي صورة إنسان، يتحاكمون إِلَيْهِ، **وَهُوَ صاحب أمرهم** »"[3]، فالطاغوت هو من يتحاكمون إليه وهو صاحب الأمر أي السلطان أو الرؤساء وزعماء القبائل والأسياد.

❁ وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. قَالَ: كَانَ أَبُو بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيُّ كَاهِنًا يَقْضِي بَيْنَ الْيَهُودِ فِيمَا يَتَنَافَرُونَ فِيهِ فَتَنَافَرَ إِلَيْهِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ:﴿إِلَّآ إِحۡسَٰنًا وَتَوۡفِيقًا ﴾[4].

ولا يصح الإسلام إلا بالكفر بالطاغوت قال تعالى: ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾[البقرة٢٥٦]، فمن لم يكفر بالطاغوت لم يؤمن بالله تعالى ولم يستمسك بالعروة الوثقى التي هي لا إله إلا الله وهو من جملة الهالكين، وقد سمى الله تعالى الحاكم بغير شرعه طاغوتا، ومن ثم فالكفر بهذا الطاغوت وغيره من الطواغيت شرطٌ في الإسلام، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ ﴾[النساء٦٠]، وجملة هذه الشعوب ترى في الديمقراطية والدولة المدنية منهج حياة عصري وفي الديمقراطيين أن فيهم الحكم ولهم الطاعة.

❁ <u>**الشعوب طوائف ممتنعة عن دين الله بموجب قانون النصرة والخدمة ـ خدمة العلم ـ: الذي هو الواجب المقدس عندهم:**</u> فكل رجالهم يُجندون احتياطاً نصرةً للطاغوت ليستعملهم متى احتاج إليهم في قتال من خرج على سلطانه، والطوائف الممتنعة عن الشرائع كحال هذه الشعوب كفار بأعيانهم بإجماع الصحابة وحكى الإجماع أبو عبيد القاسم بن سلام في سياق استدلاله أن العمل ركن في الإيمان فقال: " وَالْمُصَدِّقُ لِهَذَا جِهَادُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى مَنْعِ

[1] تفسير مجاهد ٢٨٥/١
[2] تفسير الطبري ٤٦٢/٨
[3] تفسير ابن المنذر ٧٧١/٢
[4] تفسير بن كثير ٣٤٧/٢

الْعَرَبِ الزَّكَاةَ كَجِهَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الشِّرْكِ سَوَاءً ، لَا فَرْقَ بَيْنَهَا فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ ، وَسَبْيِ الذُّرِّيَّةِ ، وَاغْتِنَامِ الْمَالِ ، فَإِنَّمَا كَانُوا مَانِعِينَ لَهَا غَيْرَ جَاحِدِينَ بِهَا"[١].

ودار الممتنعين عن شريعة من الشرائع هي دار حرب بإجماع الفقهاء قال في شرح "الإقناع": أجمع العلماء على أن كل طائفة ممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام، فإنه يجب قتالها حتى يكون الدين كله لله، **كالمحاربين وأولى**"[٢].

ونصرة هذه الشعوب للطاغوت متمثلة في الخدمة الإلزامية لجميع المواطنين وهذا متقرر في دساتير جميع الدول العربية[٣]، بل يُحمل جميع المواطنين ـ الذكور ـ للخدمة ويُتخطفون من الحواجز والبيوت والمطارات لأداء هذه الخدمة حتى يكونوا جنود احتياط في الجيش الوطني الشعبي لنصرته والقتال تحت رايته عند الحاجة إليه، وما يُقصد تبعاً من تربية المواطن على عبادة الوطن والفداء من أجله والقتال في سبيله والإعداد لذلك.

[١] الايمان ١/ ١٧

[٢] الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١٠/ ٣٠٩

[٣] **جاء في الدستور المصري: في فرض الخدمة العسكرية والوطنية**

مادة ١: تفرض الخدمة العسكرية على كل مصري من الذكور تم الثامنة عشر من عمره وتفرض الخدمة الوطنية علي من أتم الثامنة عشر من الذكور والإناث، وذلك كله وفقاً للأحكام المقررة في هذا القانون.

جاء في الدستور السوري المادة رقم ٤٦:

١.الخدمة العسكرية الإلزامية واجب مقدس وتنظم بقانون

٢.الدفاع عن سلامة الوطن وصيانة أسرار الدولة واجب كل مواطن

أيها الشاب السوري سيكون شعارك المقدس أثناء خدمة العلم هو: " وطن شرف إخلاص ثلاث كلمات تختصر مضمون التربية العقائدية لأفراد الجيش العربي السوري وتشكل الحافز الأساسي للتضحية وبذل الجهود للتدريب واكتساب المعارف والخبرات الازمة للدفاع عن الوطن

وجاء في القانون التونسي: **باسم الشعب**، وبعد موافقة مجلس النواب، يصدر رئيس الجمهورية القانون الآتي نصه:

الباب الأول :أحكام عامة

الفصل الأول .تهدف الخدمة الوطنية إلى إعداد المواطن للدفاع عن حوزة الوطن وإلى المشاركة في التنمية الشاملة للبلاد والمساهمة في نشر السلم في العالم.

الفصل ٢ .يجب على كل مواطن بلغ من العمر عشرين عاما أن يتقدم تلقائيا لأداء الخدمة الوطنية ويبقى ملزما بأدائها إلى حين بلوغه سن الخامسة والثلاثين.

ويمكن للمواطن البالغ من العمر ثمانية عشر عاما أن يؤدي الخدمة الوطنية بطلب منه وبترخيص من الولي وذلك بعد موافقة الوزير المكلف بالدفاع الوطني.

❁ **مظاهر شرك العبادة واستعلانها دون نذير ونكير أو براءة وتكفير:** ومن ذلك اتخاذ القبور والمشاهد والأوثان والمعابد التي تُقصَدُ بالعبادة والتعظيم ويُصرَفُ لها ما اختص الله به من صنوف العبادات كالدعاء والذبح والنذر وغيرها ويُعتقد فيها النفع والضر والزلفى والشفاعة ... والمشركون لهم أعياد ومواسم وقُربان وشعائر ظاهرين في الأرض من غير نكير ولا نذير ولا براءة ولا تكفير في عموم البلدان العربية كالبدوي في مصر والست زينب في سوريا والجيلاني في العراق و عبد الرحمن الثعالبي في الجزائر والحسينيات في جزيرة العرب وغيرها كثير، وهي معالمٌ بارزة وصروحٌ شاهدة على شرك القوم في هذا الزمان، وحال الناس اليوم كما كان عليه العرب في الجاهلية الأولى في كل قريةٍ صنم ولكل قبيلةٍ إله، قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾[النجم ٢٠]، فوثنية الجاهلية الأولى هي وثنية اليوم سواءٌ بسواء.

❁ **مظاهر شرك الحاكمية: فالشعوب هي الحاكمة من دون الله**: ففي دين الديمقراطية الشعب هو مصدر السلطات ـــ التشريعية والقضائية والتنفيذية ـــ فالشعوب هي نفسها الحاكمة من دون الله، وهذا المعلم متمثلٌ في هذا الزمان في إنشاء الجامعات التي تُدَرِّس القانون وتُخرِّج القُضَاة والمحامين والسياسيين الوضعيين، وتنصيب البرلمانات ومجالس الشعب التي تَسُنُّ القوانين والنُّظم، وإقامة المحاكم الوضعية التي تحكم بما شرعه الطواغيت، وإجراء الانتخابات لتنصيب الحُكَّام ونواب الشعب المشرعين، وهذه المعالم في هذا الزمان أكثر بروزاً وشهوداً مما كانت عليه الجاهلية الأولى، ففي جاهلية العصر يَتَجلى بوضوح حاكمية البشر للبشر وعبودية العباد للعبيد، وهذا أصل من أصول شرك العالم، وهو الشرك في الحكم بالله تعالى.

قال حمد بن عتيق:" ومن له مشاركة فيما قرره المحققون، قد اطلع على أن البلد، إذا ظهر فيها الشرك، وأعلنت فيها المحرمات، وعطلت فيها معالم الدين، أنها تكون بلاد كفر، تغنم أموال أهلها، وتستباح دماؤهم، وقد زاد أهل هذه البلد، بإظهار المسبَّة لله ولدينه، ووضعوا قوانين ينفذونها في الرعية، مخالفة لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وقد علمت أن هذه كافية وحدها، في إخراج من أتى بها من الإسلام.

هذا ونحن نقول: **قد يوجد فيها من لا يحكم بكفره في الباطن**، من مستضعف ونحوه؛ وأما في الظاهر **فالأمر - ولله الحمد - واضح**، ويكفيك ما فعله النبي ﷺ في أهل مكة، مع أن فيهم مستضعفين، وكذلك ما فعله أصحابه بكثير ممن ارتد عن الإسلام، من

استباحة الدم والمال والعرض، وكل عاقل وعالم يعلم أن ما أتى به هؤلاء من الكفر والردة، أقبح وأفحش وأكثر مما فعله أولئك"[١].

❁ مظاهر شرك الطاعة والاتّباع: وصورة امتثال هذه الشعوب إلى القوانين الصادرة من المشرعين الوضعيين دون عصيان مدني، ومصداق ذلك انتخاب الشعب نوابا عنه في التشريع، ويتبعهم فيما يسن لهم من الشرائع والأوضاع، وقد تقرر أن "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْقَوَانِينَ الْوَضْعِيَّةَ الَّتِي شَرَعَهَا الشَّيْطَانُ عَلَى أَلْسِنَةِ أَوْلِيَائِهِ **مُخَالَفَةً** لِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، **أَنَّهُ لَا يَشُكُّ فِي كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ إِلَّا مَنْ طَمَسَ اللَّهُ بَصِيرَتَهُ، وَأَعْمَاهُ عَنْ نُورِ الْوَحْيِ مِثْلَهُمْ**"[٢].

❁ الدخول في دين الديمقراطية أفواجاً: فالناس اليوم قد دخلوا في دين الديمقراطية عن بكرة أبيهم .إلا من رحم الله ـ، وأظهروا الموافقة والاتباع لأوضاعه والانقياد لقوانينه وأحكامه والتحقوا بمدارسه وجامعاته وتوظفوا في مؤسساته وقطاعاته وانتسبوا إلى الوطن فلهم حقوق المواطنة وعليهم واجباتها ومنها الدفاع عن الوطن والإعداد لذلك بالخدمة الإلزامية والمشاركة في العملية السياسية وإقامة أركان الطاغوت في الأرض ويسمونها بناء الوطن ... إذا فالمواطنون مشركون والانتساب إلى الوطن بهذه الجنسيات التي تثبت المواطنة هو انتساب إلى الجاهلية ودخول في دين الديمقراطية.

❁ الاستهزاء بدين الله والسب لذات الله والكفر المنتشر في أمثالهم وألفاظهم يحفظه الصغير ويردده الكبير: فهذه الشعوب في زهوها تُنَكِّت بالاستهزاء بآيات الله وفي غضبها تَنتفض بسب ذات الله، وينتشر فيها الاستهزاء ببعض شعائر الإسلام كالجهاد والسبي ووصفها بالإرهاب والتَّخلف والرَّجعية، وهذا منتشر في هذه الشعوب بشكل كبير جداً بين الصغار والكبار، قال إسحاق بن راهويه: "قد أجمع العلماء أن من سبّ الله عز وجل، أو سبّ رسوله صلى الله عليه وسلم، أو دفع شيئاً أنزله الله، أو قتل نبياً من أنبياء الله، وهو مع ذلك مقرٌّ بما أنزل الله، أنه كافر"[٣].

---

[١] الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٤٠٢/٦

[٢] أضواء البيان ٢٥٩/٣

٣ التمهيد (٤/ ٢٢٦).

❁ **الانتخاب على الطواغيت المشرعين والحاكمين والاستفتاء على الدساتير الوضعية:**

والانتخاب: هو اختيار حاكم من الحكام الطواغيت الذين يترشحون للحكم بغير ما أنزل الله، وذلك بعد عرضهم للبرامج الديمقراطية والشرائع الجاهلية المخالفة لدين الله تعالى عبر حملة انتخابية في جميع القرى والمحافظات، وبعد ذلك يختار الشعب الطاغوت الذي يحكمه ويشرع له بالتصويت عليه عن طريق الأغلبية، وهذا واضح في أن الشعوب تنصب طاغوتها عن طريق التصويت عليه وانتخابه.

❁ **فشو التَّجهم وتعطيل الصّفات وحصر الكفر بالمعرفة والاعتقاد ونفي العلو لله الواحد القهار:**

ونقول أنَّ العقيدة الرسمية والمعتمدة في المقررات الدراسية والمعاهد والجامعات والمساجد ونحوها هي العقيدة الأشعرية التي هي عقيدة جهمية كفرية في باب الأسماء والصفات والأسماء والأحكام وغيرها.

❁ **ومنها الولاء والبراء في الوطن وتحيَّة العلم وتعظيم هذا الوثن والقتال دونه:**

وهذه الشعوب قد اتخذت الوطن طاغوتاً ومعبوداً من دون الله، فيُعقد الولاء والبراء على أساس الانتماء إليه ولحدوده والتجنس بجنسيته، وتُقسَّم الحقوق والواجبات على هذا الاعتبار، بحيث من كان ينتمي للوطن ويحمل جنسيته فله كامل الحقوق والموالاة ولو كان من أكفر الكافرين، ويعظمون العلم الخاص بهذا الطاغوت ويقفون له تعظيما وقنوتاً ويقاتلون في سبيله في صمود، وبذلك يكونوا قد أشركوا الوطن مع الله تعالى في الولاء والبراء، وجعلوا المعتبر في ذلك هو التراب والحدود وليس العقيدة والدين، وهذا مفاده تنصيب طاغوت يعبده الناس من دون الله تعالى.

❁ **كفر المجالس كشهود أماكن الشّرك في المظاهرات والمدارس والجامعات والأعياد الكُفريَّة و أندية كرة القدم:**

ويدل على أنَّ الجلوس في المجلس الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ بها دون الإنكار أو القيام عنه هو دلالة ظاهرة على الإقرار بالكفر بالله تعالى هو ظاهر قوله: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا

﴾[النساء١٤٠]، ويــدل عليــه كــذلك قولــه تعــالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هـود١١٣]، وعــن عَبْــدَ الــرَّحْمَنِ بْــنَ زَيْــدِ بْــنِ أَسْـلَمَ فِـي قَوْلِـهِ: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ قَـالَ: لَا تَرْكَنُـوا إِلَـى الْمُشْـرِكِينَ فَتَمَسَّـكُمُ النَّـارُ قَـالَ: الإِرْكَـانُ: الإِدْهَـانُ وَقَـرَأَ ﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ قَـالَ: تَـركنُ إِلَـيْهِمْ وَلا تُنْكِـرُ عَلَـيْهِمُ الَّذِي قَالُوا، وَالرُّكُونُ أَنْ يَقُولَهُ بِمَا قَالَ الإِدْهَانُ."[١]

وقولــه تعــالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾، أي في الكفــر وهــذا تعليــل للنهي، أي إنكــم إن قعــدتم معهــم تكونــون مـثلهم شـركاء لهـم في كفـرهم، لأنكـم أقررتمـوهم عليـه ورضـيتموه لهـم، ولا يجتمـع الإيمـان باللـه وإقـرار الكفـر والاسـتهزاء بـه، ويؤخـذ مـن ظـاهر الآيـة أن إقـرار الكفـر بالاختيـار كفـر، وبهـذه الآيـة ونحوهـا اسـتدل بعـض السـلف علـى أن الراضـي بالـذنب كفاعلـه، والراضـي بـالكفر كفاعلـه، فـإن ادعى أنـه يَكـره ذلـك بقلبـه لـم يُقبـل منـه، لأن الحكم على الظاهر، وهو قد أظهر الإقرار بالكفر لعدم الإنكار أو الفرار، فيكون كافرا.

۞ عــن أبـي وائـل، قـال: إن الرجـل ليـتكلم بالكلمـة في المجلـس مـن الكَـذب ليُضـحك بهـا جلسـاءَه، فيسـخط اللـه علـيهم. قـال: فـذكرت ذلـك لإبـراهيم النخعي، فقـال: صـدق أبـو وائــل، أو لــيس ذلــك فــي كتــاب اللــه: ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾؟"[٢]

۞ وعـن هشـام بـن عـروة أن عمـر بـن عبـد العزيـز أخـذ قوما على شـراب ومعهـم رجـل صـائم فضــربه معهــم فقيــل لــه: إن هــذا صــائم، فقــال:﴿ فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾[٣]، فأخــذه عمــر بجريــرة مــن كــان معهــم بمجــرد قعــوده ، أي أجــرى عليه الحكم بقعوده معهم وإن لم يشرب من شربهم.

وقــال الزجــاج:" وقولــه: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾، أي إنكــم إذا جالســتموهم علــى الخــوض فــي كتاب اللَّه بالهزؤ فأنتم مِثْلُهُمْ."[٤]

وقــال الطبـري:" وقولــه: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾، يعني: وقــد نــزل علــيكم أنكــم إن جالســتم مــن يكفـر بآيـات اللـه ويسـتهزئ بهـا وأنـتم تسـمعون، فـأنتم مثلـه يعني: فـأنتم إن لـم تقومـوا عـنهم

[١] رواه ابن أبي حاتم برقم ١١٢٦٢

[٢] تفسير الطبري برقم ١٠٧٠٨

[٣] الإبانة (٢/ ٣/ ٤٨١/ ٥١٥).

[٤] معاني القرآن ٢/ ١٢١

في تلك الحال، مثلُهم في فعلهم، لأنكم قد عصيتم الله بجلوسكم معهم وأنتم تسمعون آياتِ الله يكفر بها ويستهزأ بها، كما عصوه باستهزائهم بآيات الله. **فقد أتيتم من معصية الله نحو الذي أتَوْه منها، فأنتم إذًا مثلهم في ركوبكم معصية الله**، وإتيانكم ما نهاكم الله عنه."[١]،

❁ **شرك المدارس التي تخرّج الطلبة كفارا أصليين[٢]:**

ومدارس الطاغوت في هذا الزمان هي دور المسالخ للفطرة السليمة وترسيخ مبادئ الطاغوت العصري والوثن القومي الذي هو الديانة الديمقراطية كما جاء في ميثاق حقوق الإنسان[٣]، بالإضافة للمكفرات الأخرى كالوقوف للعلم ـ الذي هو شعار الديانة الوطنية ـ قنوتاً وتعظيماً له، والاحتفال بالأعياد الوطنية وتعظيم الطواغيت العلمانية والخضوع لنظام المؤسسات الطاغوتية والجلوس في مجالس دراسة مناهج الكفر في مدارس الطاغوت دون إنكار أو قيام، والتربية على أصول الكفر ومسخ عقيدة الولاء والبراء، فإن لهذه المدارس أثارا في غاية السوء على الذرية من سلخ للفطرة وانحلال للأخلاق والتشبع بالمبادئ الديمقراطية والمدنية وطمس للهوية الإسلامية، وحث للاندماج في هذه المجتمعات الجاهلية، حيث أن التعليم يغرس فيهم حب الوطن والخضوع لقوانينه وموالاة للمشركين ومحبتهم ومعاداة المؤمنين وتشويههم لسنين متوالية، وهذا كفيل بزرع هذه المبادئ وتخريج التلاميذ على مبادئ حقوق الإنسان والدين الوضعي الجديد.

وما هذه المكفرات إلَّا غيضٌ من فيضٍ وحبَّةٌ من فَلاةٍ ... وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

[١] تفسير الطبري ٣١٢/٩

[٢] انظر رسالة مدارس الطاغوت للمؤلف

[٣] **المادة ٢٦.**

١ـ **لكلِّ شخص حقٌّ في التعليم. ويجب أن يُوفَّر التعليمُ مجَّانًا**، على الأقل في مرحلتيه الابتدائية والأساسية. ويكون التعليمُ الابتدائيُّ إلزاميًّا. ويكون التعليمُ الفنِّي والمهني متاحًا للعموم. ويكون التعليمُ العالي مُتاحًا للجميع تبعًا لكفاءتهم.

٢ـ **يجب أن يستهدف التعليمُ التنميةَ الكاملةَ لشخصية الإنسان وتعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية**. كما يجب أن **يعزِّزَ التفاهمَ والتسامحَ والصداقةَ بين جميع الأمم وجميع الفئات العنصرية أو الدينية**، وأن يؤيِّد الأنشطةَ التي تضطلع بها الأممُ المتحدةُ لحفظ السلام.

۞ فإن قيل لك: كيف نعرف المسلم في هذه الاقوام؟

فقل: الظاهر المعتبر للحكم بالإسلام هو إظهار مخالفة ما عليه القوم من كفر وشرك والبراءة من هذه الشعوب والأقوام، والدليل القطعي من كتاب الله على أن الظاهر المعتبر في دور الكفر هو إظهار مخالفة ما عليه القوم من كفر وشرك: هو الظاهر الذي أتت به القلة المؤمنة من الرسل وأتباعهم بين الأقوام المشركة، كقوله تعالى:﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةً ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴾[يونس ٧٣]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴾[هود٥٨]، فمن أظهر المخالفة لدين قومه في مثل هذه الديار وبين هؤلاء الأقوام يُحكم له بالإسلام، أما من كان مستخفياً بدينه فيجري عليه ما يجري على الكثرة لعدم إظهاره للظاهر الذي يتعلق به الحكم.

<u>والدليل من الإجماع:</u> هو إجماع الصحابة في دور الردة بعد وفاة النبي ﷺ حيث أنهم لم يعتبروا شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة والصيام والآذان وغيرها من الشعائر في هذه الدور، ونفس الدليل الذي يَستدل به من يحكم بالشعائر استدل به أبو بكر على عدم اعتبار الشعائر في مثل هذه الدور وأجرى عليهم أحكام الكفار، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِذَا شَهِدُوا **وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَأَكَلُوا ذَبِيحَتَنَا، وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا،** فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ **إِلَّا بِحَقِّهَا** لَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ﴾[1].

[1] رواه أحمد برقم ١٣٠٥٦ وإسناده صحيح.

فقد استدل أبو بكر بقوله "إِلَّا بِحَقِّهَا" فقَالَ: «وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ **فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ** وَاللَّهِ إِنْ مَنَعُونِي عِقَالا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَوَ اللَّهِ مَا هُوَ إِلا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ»[1].

والذي استقر عليه إجماع الصحابة: التكفير والقتال وعدم اعتبار ظاهر الشهادة والشعائر في مثل هذه الدور، وحكى الإجماع أبو عبيد القاسم بن سلام في سياق استدلاله أن العمل ركن في الإيمان فقال: " وَالْمُصَدِّقُ لِهَذَا جِهَادُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى مَنْعِ الْعَرَبِ الزَّكَاةَ كَجِهَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الشِّرْكِ سَوَاءً ، لَا فَرْقَ بَيْنَهَا فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ ، وَسَبْيِ الذُّرِّيَّةِ ، وَاغْتِنَامِ الْمَالِ ، فَإِنَّمَا كَانُوا مَانِعِينَ لَهَا غَيْرَ جَاحِدِينَ بِهَا"[2].

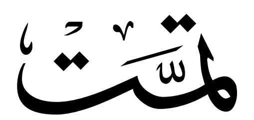
نسأل الله أن يقيمنا على الملة الغراء ويثبتنا على المحجة البيضاء حتى نلقاه، اللهم أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين.

[1] رواه البخاري برقم ١٤٠٠ ومسلم برقم ٢٠

[2] الايمان ١٧/١

فهرس


تمت

